Journal Of the Iraqia University (74-2) September (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

السياسة النبوية في إدارة الدولة الإسلامية أيام الحرب "غزوة الخندق إنموذجاً"

م.د. محمد شاكر أحمد جامعة كركوك/ كلية التربية للبنات

The Prophet's Policy in Managing the Islamic State During Wartime: The Battle of the Trench as a Model

Dr. Muhammad Shaker Ahmed
Kirkuk University/College of Education for Women
mohammadshakir@uokirkuk.edu.iq

الملخص

شكلت السيرة النبوية مصدراً مهماً وغنياً في إدارة الدولة الإسلامية في جميع المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، إذ ضرب لنا الرسول محمد ﷺ مثالاً في الدروس القيادية في الجانب العسكري في الحروب والغزوات لاسيما غزوة الخندق موضوع بحثنا "السياسة النبوية في إدارة الدولة الإسلامية أيام الحرب"غزوة الخندق إنموذجاً" حيث ركز البحث على الأساليب والمرتكزات التي اعتمدها الرسول محمد ﷺ في إدارة الدولة الإسلامية خلال فترات الحرب، وكيف تميزت السياسة النبوية بالحكمة، والتخطيط الاستراتيجي، والمرونة، مع التزام التام بالقيم الأخلاقية والإنسانية، فقد تجلت إدارته للتخطيط والاستعداد للحرب إذ اعتمد الرسول محمد ﷺ على جمع المعلومات الاستخباراتية الدقيقة قبل أي معركة، والاختيار الجيد للزمان والمكان للمعركة، كذلك اعتماده مبدأ الشورى مع أصحابه عند تعرض الدولة الإسلامية للخطر، ونلاحظ أيضاً قيادته ومشاركته بنفسه في الغزوات لاسيما غزوة الخندق وكيف شارك في عملية الحفر، إذ كان قائداً ميدانياً مع أصحابه، ومن السياسة الإدارية للرسول ﷺ استخدامه الأساليب الحربية مثل التحصين، والمباغتة، وإدارته في تحصين وتأمين الجبهة الداخلية قبل البدء بالقتال، وكان هدفه ﷺ من الحروب والغزوات نشر الدعوة الإسلامية، ورد العدو، وتحقيق الأمن للمسلمين.

الكلمات المفتاحية: الخندق، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، الأحزاب، اليهود، الدولة الإسلامية.

Abstract

The Prophet's biography constituted an important and rich source for the management of the Islamic state in all political, military, economic, and social spheres. The Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) set an example of leadership lessons in the military aspect of wars and conquests, especially the Battle of the Trench, the subject of our research, "The Prophet's Policy in Managing the Islamic State During Wartime" (The Battle of the Trench as a Model). The research focused on the methods and foundations adopted by the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) in managing the Islamic state during periods of war, and how the Prophet's policy was characterized by wisdom, strategic planning, and flexibility, with a full commitment to moral and humanitarian values. His management of planning and preparation for war was evident, as the Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him) relied on gathering accurate intelligence before any battle, carefully choosing the time and place for battle, and also adopting the principle of consultation with his companions when the Islamic state was exposed to danger. We also note his leadership and personal participation in conquests, especially the Battle of the Trench, and how he participated in the digging process, serving as a field commander with his companions. This is part of the Prophet's (peace and blessings be upon him) administrative policy. He used military tactics such as fortification and surprise, and managed to fortify and secure the home front before engaging in combat. His goal in wars and conquests was to spread the Islamic call, repel the enemy, and achieve security for Muslims. Keywords: The Trench, Prophet Muhammad (peace and blessings be upon him), parties, Jews, Islamic state.

المقدمة

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحابته أجمعين وبعد:إنَّ المتأمل في سيرة الرسول ﷺ بوصفه النبي المبلغ عن الله رسالته، والقائد الذي بنى دولة الإسلام الفتية يرى أنه عليه الصلاة والسلام لم يُغفل التخطيط والتدبير المستند إلا العقل، الآخذ بأسباب الحياة الواقعية على الرغم من كونه نبياً مرسلاً ﷺ.ومعركة الخندق تمثل المعركة الأكثر تمازجاً فيها بين تدبير الله سبحانه وتعالى والأخذ بالأسباب ومقتضيات العقل والتخطيط المنهجي للوصول إلى أسباب النصر، فتلك المعركة اجتمع فيها الباطل كله للقضاء على الإسلام واستئصاله من المدينة المنورة، تلك المدينة مثلت بؤرة إشعاع نوراني سيمتد في جهات الأرض للقضاء على الباطل، ووقع الاختيار على هذه المعركة كونها احتاجت منهجين في التدبير لها الأول: الاعتماد على الله واللجوء إليه ولا سيما أنّ العدو المهاجم أكثر عدةً وعدداً من جيش المسلمين وأما الثاني فيرتكز إلى خبرة النبي القائد ﷺ بوصفه بشراً يستعين بخبرة الصحابة الكرام عَبر منهج المشورة بوصفه منجهاً إسلامياً في الحكم، قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴿٣٨﴾﴾ الشورى، الآية: ٣٨.وكان عنوان البحث "السياسة النبوية في إدارة الدولة الإسلامية أيام الحرب غزوة الخندق أنموذجاً"، وقسمت البحث على وفق فقرات أربعٍ مسبوقة بمدخل تضمن وصفاً عاماً لظروف المعركة والتدابير النبوية فيها. وجاءت الفقرة الأولى بعنوان بدء خطة الدفاع عن المدينة موضحةً الأمور والحيثيات التي صاحبت زحف جيش المشركين نحو المدينة.وأما الفقرة الثانية فكانت بعنوان إجراءات الرسول ﷺ في التهيئة للمعركة إذ وضحنا فيها خطوات الرسول ﷺ التي اتخذها دفاعاً عن المدينة وتأمينها، وأما الفقرة الثالثة فكانت بعنوان معالم قيادة الرسول ﷺ لإدارة الدولة أثناء المعارك وفيها جلينا عن خصال النبي القائد في إدارته لدولة الإسلام في عصر الرسالة أثناء المعركة، على وفق كونها أي المعركة اكبر اختبارٍ لمهارات القيادة في الأزمات، وجاءت الفقرة الرابعة للحديث عن بشائر النصر ومآل اليهود في المدينة، إذ كانت المعركة محسومة لصالح المسلمين قبل أن تبدأ، علماً أنها لم تكن معركة إلا في حدود المبارزات الفردية والمناوشات التي وقعت بين طرفي القتال.وختمنا البحث بمجموعة من النتائج توصلنا إليها تضمنتها خاتمةٌ كانت نهاية البحث.

–مدخل: وصفٌ عامٌ لظروف المعركة والتدابير النبوية لهاتمثل غزوة الأحزاب أو غزوة الخندق ٥هـ/٦٢٦م حداً فاصلاً بين زمنين الأول: جهود الرسول ﷺ في تثبيت دولة الإسلام العتية وما شابها من مخاطر خارجية، تمثلت تهديد المشركين لهذه الدولة إذ اصبحت دولةً مكينةً يحسب لها أعداؤها ألف حساب، ومما يدل على أهمية هذه الغزوة (غزوة الأحزاب) أن القرآن الكريم نزَّل فيها سورة كاملة هي سورة الأحزاب، كان معظم مضامينها يتحدث عنها، والأيام العصبية التي أحلت بالمسلمين قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ الأحزاب، الآية ٩–١١. فالظرف لم يكن ظرفاً كبقية الأيام، وهنا تظهر حنكة رسول الله (حردان، ٢٠١٦م، صفحة ٥٢) ﷺ بوصفه القائد لدولة الإسلام وجيشها، ويتبادر سؤال طالما طرحه الباحثون عن قصدٍ أو غير قصد، يتمثل هذا السؤال في طبيعة ما يصدر من الرسول ﷺ من توجيهاتٍ وأوامر إذ كانت من عندهِ وتمثل أراءاً إدارية سياسية كما يصدرها القادة والزعماء، أم هي وحي من الله سبحانه وتعالى يجبُ على المسلم التسليم له والأخذ به؟ كما سنرى في احداث غزوة الخندق، فهذا السؤال دار في ذهن الصحابة الكرام.ومنذ اللحظة الأولى لنزول الإسلام على الرسول ﷺ، ومن ثم إشهار أمره بين العرب، شَرَعَ أعداؤه من المشركين وغيرهم من اليهود بالتخطيط للإيقاع به والقضاء عليه، وغزوة الخندق مرحلةٌ من مراحلِ تآمر أعداء الإسلام عليه، فالمصلحة جمعت المشركين واليهود للتحالف ضد المسلمين (خلف، ٢٠٢٤م، صفحة ٧٩٦)؛ لاستئصال الإسلام من المدينة المنورة بوصفها مركز الدعوة الإسلامية (حردان، الشعائر الرمضانية في المغرب الإسلامي، ٢٠٢٤م)، ونقطة انطلاق الدعوة المباركة إلى أرجاء الجزيرة وما حولها، فشن اليهود من بني قريضة في تدبير خطةٍ مع مشركي مكة وما حولها من بني غطفان وعرب الجزيرة الهجوم على المدينة المنورة عُقرِ دار الإسلام، للقضاء على الإسلام إلى الأبد، على وفق كون وجود النساء والأطفال أمراً مربكاً للمقاتلين في مواجهتهم الكفار من قريش وحلفائها (الواقدي، ١٩٨٩م، الصفحات ٤٤١–٤٤٢)وفي هذه الظروف وبعد علم رسول الله ﷺ بنوايا العدو الذي جهز عشرة ألاف مقاتل لمباغتة المسلمين في المدينة بقيادة أبي سفيان ابن حرب قبل أن يسلم، وجرياً على سنة رسول الله ﷺ في استشارة الصحابة ﷺ، فجمع الصحابة ليتداولوا ما يمكن أن يعده من عدةٍ لتجنيب المدينة المنورة الخطر المحدق بها، ومما أتفقوا عليه موافقة الرسول ﷺ على عرض زعيم غطفان الحارث الغطفاني. (هو الحارث الغطفاني التغلبي كان قائد غطفان في تحالفها مع قريش في غزوة الخندق, وخلفه ابنه دعثور على سيادة غطفان بعد موته وابنه هذا هو صاحب القصة المشهورة عندما اتى الى النبيﷺ وهو نائم تحت شجرة, يريد قتله فقال من يعصمك مني يا محمد فقال النبيﷺ الله يعصمني, فسقط السيف من يده, ثم اسلم دعثور) (ابن حجر العسقلاني، ١٤١٥هـ، صفحة ٣٢٤) في تقاسم محصول المدينة من التمور على أن ينسحب

من تحالف المشركين ويعود إلى قبيلتهِ ومما ذكره كُتَّاب السيرة قول الرسول ﷺ "إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتْكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَإِنَّ الْحَارِثَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تُشَاطِرُوهُ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْفَعُوا إِلَيْهِ عَامَكُمْ هَذَا، حَتَّى تَنْظُرُوا فِي أَمْرِكُمْ بَعْدُ" (الطبراني، د.ت، صفحة ٢٨) ومما يتحلى في هذا الإجراء النبوي قاعدةُ دفعِ أخفَّ الضررين لتجنب الضرر الأكبر، ومما لا يختلف عليه اثنان أن تجنيب الحرب على المسلمين وابعاد أخطارها عن ديارهم أعظم من دفع الأموال لشراء تراجع عضوٍ مهم من تحالف المشركين وهم بنو غطفان، فالأموال يمكن أن تعوض، أما حياة الإنسان فلم يعوض عنها شيٌ.وفي هذا المقام وكما ذكرت سابقاً يظهر تساؤل المسلمين عن هذا الأمر، فقد سأل بعض الأنصار الرسول ﷺ فقالوا: "يَا رَسُولَ اللهِ، أَوَحْيٌ مِنَ السَّمَاءِ، فَالتَّسْلِيمُ لِأَمْرِ اللهِ، أَوْ عَنْ رَأْيِكَ، أَوْ هَوَاكَ، فَرَأْيُنَا تَبَعٌ لِهَوَاكَ ورَأْيِكَ، فَإِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ الْإِبْقَاءَ عَلَيْنَا، فَوَاللهِ لَقَدْ رَأَيْتُنَا وَإِيَّاهُمْ عَلَى سَوَاءٍ مَا يَنَالُونَ مِنَّا تَمْرَةً إِلَّا بِشِرًى، أَوْ قِرًى, فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: هُوَ ذَا تَسْمَعُونَ مَا يَقُولُونَ" (الطبراني، د.ت، صفحة ٢٨)، ويبدو أن الرسول ﷺ نزل إلى رأي الأنصار في عدم إجابة الحارث الغطفاني لما أراده، وأن المشركين من بني غطفان فهموا مراد الرسول ﷺ في عدم موافقته لطلبهم، والأمر آيلٌ إلى الحرب لا محالة، وهنا تتجلى إرادة الله سبحانه وتعالى في أعزازِ المسلمين وتقوية شوكة دولتهم، فلو استجاب الرسول ﷺ لطلب الحارث الغطفاني لفهم العدو أن ذلك ضعف، وأنه سيطمعهم في التمادي في طلباتٍ أخرى في حقيقتها إذلالٌ للمسلمين، فكانت الحرب، وحدثت الغزوة التي لم يتأذَّ منها المسلمون، فضلاً عن اتضاح أمور المنافقين وتجلية نواياهم السيئة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُواْ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾الأحزاب، الآية ١٣.ومن عجيب تدبير الله سبحانه وتعالى أنهُ جمع بين أمرين، الأول: أنه قويت شوكة الإسلام وانفضح أمر أعداءه من المنافقين واليهود داخل المدينة، والثاني: أنه لم يحدث قتال ولم يصيب المسلمين أذى، وهو عكس ما أراده المشركين من استباحة أمر المدينة والقضاء على المسلمين، قال تعالى ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾. الأحزاب، الآية ٢٥٤-٢٧، ومما أشار إليه كُتاب السير أن غزوة الخندق جمع لها أعداء الإسلام أكبر تحالف وأضخمه، إرادة منهم لاستئصال شأفة الإسلام واقتلاع شجرته الطيبة، والقضاء عليه قضاءً مبرحاً.**بدء خطة الدفاع عن المدينة**إن الناظر في كتب السير (الواقدي، ١٩٨٩م، الصفحات ٤٤٣- ٤٤٤) (ابن هشام، ١٩٥٥م، الصفحات ٢١٥-٢١٩) يرى أنها فصلت القول في أمور هذه الغزوة أكثر من غيرها من الغزوات، بل نقلت لنا ما دار من حوارات بين الرسول ﷺ والصحابة في شأن التخطيط لهذه المعركة التي ستكون حاسمة في نصر المسلمين على المشركين في الجزيرة العربية من مشركي العرب وأهل الكتاب، وهي تشكلُ بدء سلسلة انتصارات حاسمة لبسط الإسلام نفوذه في جزيرة العرب بدءاً بفتح مكة بعد هذه الغزوة.ومن هذه الحوارات ما حصل بين الرسول ﷺ والصحابة في اختيار مكان المعركة؛ لكي لايترك المسلمون مجالاً للعدو فيفاجئهم بتحديد موضع المعركة، إذ إن المكان الذي اختاره الرسول ﷺ يمثل ثغرة في خاصرة المدينة، ومن المعروف أن اختيار الخنادق بوصفها عوائق جغرافية تحدُ من حركة العدو لم يكن معروفاً أو متبعاً عند العرب، ولذلك فقد أفاد المسلمون من خبرة سلمان الفارسي. (الصحابي سلمان الفارسي ﷺ من اصبهان كان يكنى ابا عبدالله, اسلم على يد الرسول ﷺ في المدينة, وشهد مع رسول الله ﷺ الخندق وكانت اول غزوة غزاها وشهد توفي سلمان الفارسي في خلافة عثمان بن عفانﷺ بالمدائن) (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٦٨م، الصفحات ٧٤-٩٤) في هذا المجال في معرفة الجهة التي سيهاجم منها المشركون. (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢٠٤) (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٦٨م، صفحة ٦٦)وهنا لابد من الإشارة إلى أن أساليب تحصين المدن كان متبعاً عند العرب في حواضرهم عن طريق بناء الجُدُر أو الأسوار المرتفعة، وخير مثال على ذلك مدينة الطائف التي سميت بهذا الاسم نسبة إلى طريقة تحصينها عن طريق سور يحيطها من جميع الجهات (البكري، ١٤٠٣هـ، صفحة ٦٧)، وأما فكرة الخنادق لم تكن معروفة أو شائعة بين العرب آنذاك، ولعل السبب في ذلك يعود إلى الخصائص الجغرافية للمدن العربية، وفي بدء طرح فكرة الخندق استغرب المسلمون ذلك لجدتها عليهم، بيد أنه عند إقرار الرسول ﷺ لهذه الفكرة (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢١٦) أخذ بها المسلمون ونفذوها على أرض الواقع.ومما يلفت الأنظار في تنفيذ فكرة الخندق أن المسلمون عملوا على حفره مواصلين الليل بالنهار دون انقطاع، والسبب يعود لضيق الوقت ومخافة أن يباغتهم العدو؛ ولذا فقد اشترك جميع المسلمين من القادرين على العمل في حفر الخندق بما فيهم الرسول ﷺ والسبب معروف وهو تقوية عزائم المسلمين وحثهم على العمل، وبعث الطمأنينة في نفوسهم، وفي هذا المقام ذكر مؤرخو السيرة حادثة كسر الصخرة واقتلاعها، وهي الصخرة التي ظهرت أثناء حفر الخندق وأعاقت عمل المسلمين وعند ذلك تدخل الرسول ﷺ فضربها بمعوله فخرج منها برقٌ مضيءٌ أضاء السماء، وهذه الحادثة تمثل إحدى معجزات رسول الله ﷺ التي تبشر فيها المسلمين

بفتح قصور كسرى في العراق وبلاد فارس وبلدان الروم في الشام (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢١٩)، وعلى الرغم من إحاطة عناية الله للمسلمين وتأييده لهم وإيقان الرسول ﷺ في نصر الله المبين الذي تجاوز واقعة معركة الخندق إلى فتوح العراق وبلاد الشام، أقول برغم ذلك كله فقد اتبع الرسول ﷺ سياسة التخطيط لهذه المعركة ومنها اعتماد السرية التامة في فكرة حفر الخندق؛ لكي لا يبلغ مسامع المشركين لهذه الخطة فتكون سبباً في فشلها (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢١٦) (الطبري، ١٣٨٧هـ، صفحة ٥٦٦) (السهيلي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٦٣) واستغرق حفر الخندق ستة أيام كاملة (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢١٦) (البيهقي، ١٩٨٨م، صفحة ٣٩٩) (ابن الجوزي، ١٩٩٢م، صفحة ٢٢٨). وهنا لا بد من الإشارة إلى تحالف الكافرين الذي شمل كل القبائل حول المدينة، فمن جهة المشرق بنو غطفان ويهود بنو قريظة واتباعهم من جهة المغرب، وقريش والقبائل المتحالفة معها من جهة الشمال، ولذا فقد وصف القرآن الكريم ذلك الحدث بقوله: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا﴾الأحزاب، الآية ١٠. فكانت ظروف تلك المعركة من أصعب الظروف التي واجهة المسلمين في فجر تاريخهم (مقاتل بن سليمان، ١٤٢٢هـ، الصفحات ٤٧٦-٤٧٧)والمتأمل في جغرافية المدينة المنورة يجدُ أن جهة الشمال فيها تمثل خاصرة رخوة لها؛ ولذلك فقد اختار الرسول ﷺ تلك الجهة لحفر الخندق الحاجز بين المدينة وبين قوات المشركين المهاجمة، فبمجرد وصول تلك القوات المهاجمة تفاجوا بالخندق الذي أجبرهم على العسكرة قبله منتظرين ما سيفعلونه (الواقدي، ١٩٨٩م، صفحة ٤٦٤) (ابن هشام، ١٩٥٥م، الصفحات ٢٢٣-٢٢٤) (الطبري، ١٣٨٧هـ، صفحة ٥٧٣) (ابن الجوزي، ١٩٩٢م، صفحة ٢٣٠)**إجراءات الرسول ﷺ والتهيئة للمعركة**إن ربح المعارك ودحض العدو لا يعتمد على القوة العسكرية المجردة فقط، بل تحتاج إلى الحرب النفسية التي تعمل على إضعاف العدو معنوياً وبث الشائعات التي توهن من عزائمه، والرسول ﷺ بوصفه قائد المسلمين عمل على استغلال هذا النوع من الحرب النفسية، وقد ذكر أهل السير قصة إسلام نعيم بن مسعود (الصحابي نعيم بن مسعود بن عامر بن انيف بن ثعلبة, وكنيته أبو سلمة الاشجعي, اسلم يوم الخندق وامره الرسولﷺ ان يخذّل بين بني قريضة وابي سفيان وغطفان, ثم هاجر فيما بعد وسكن المدينة وكان يغزو مع النبيﷺ, له رواية للحديث, عاش الى زمن عثمانﷺ) (ابن سعد، الطبقات الكبرى، ١٩٦٨م، الصفحات ٢٧٧-٢٧٩) كان جندياً في جيش العدو المهاجم قبل إسلامه، وفي أثناء ذلك استثمر الرسول ﷺ هذا الصحابي الجليل الذي لم يَعرف المشركون بإسلامه، وكان سيداً مطاعاً في قومه ذا رأي مسموع فيهم، فأشار إليه الرسول ﷺ أن يكتم إسلامه عن قومه والمشركين؛ ليؤدي دور الباث للإشاعات التي تضعف جبهة المشركين الداخلية، وللإيقاع بين اليهود من طرفٍ والمشركين من العرب في قريش وغطفان من طرفٍ آخر، وقد بلغ وصف الرسول ﷺ للحرب أبلغ وصف عندما خاطب نعيم بن مسعود في قوله: "إنما أنت فينا رجل واحد، فَخَذِّلْ عنا إن استطعت، فإن الحرب خدعة" (ابن حزم، ١٩٠٠م، صفحة ١٩٠)، وتمام القصة ما قاله ابن هشام إذ قال "فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة، وكان لهم نديماً في الجاهلية، فقال: يا بني قريظة، قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم، فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم، لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره، وإن قريشا وغطفان قد جاءوا لحرب محمد وأصحابه، وقد ظاهرتموهم عليه، وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره، فليسوا كأنتم، فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ببلدكم، ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم، يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمدا حتى تناجزوه، فقالوا له: "لقد أشرت بالرأي"، (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢٢٩) وقد ذكر ابن هشام القصة بتمامها وما أثارته في نفوس المتحالفين من ريبة إتجاه بعضهم البعض، فضعف تحالفهم وانفرط عقده ولاسيما تحالف اليهود مع المشركين، إذ كان موقفهم أضعف المواقف وأرجأها إلى بث الذعرِ في نفوسهم، فهم مجاورون للمسلمين في المدينة ومساكنون لهم، وعندما تنتهي هذه المعركة بنص المسلمين فسيكون مصيرهم مرعباً يتعلق بمستقبل وجودهم في المدينة بوصفهم أحد البطون المكونة لسكان المدينة، وهذا ماحدث بالفعل إذ توجه المسلمون بعد المعركة إلى محاربة اليهود واستئصالهم من المدينة نهائياً قال تعالى واصفاً ذلك وما حلَّ بهم عقوبةً لهم على نكثهم العهد مع رسول الله ﷺ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الحشر، الآية: ٢.**معالم قيادة الرسول ﷺ لإدارة الدولة أثناء المعارك** اتضح مما سبق أن سياسة الرسول ﷺ في مواجهة الظروف التي كانت تهدد دولة الإسلام الفتية في عصر الرسالة وجودياً اتسمت بالشمول في رؤيته صلى الله عليه وسلم لهذه الظروف، وكانت سياسة تعتمد في حَلِّها أولاً على عون الله سبحانه وتعالى وما يفيض به من توجيهات إلهية لمقام النبوة، فضلاً عن عدم إهمالها الأخذ بالأسباب، فعلى الرغم من كون الرسول ﷺ هو القائد وهو النبي الذي عصمه الله من الناس، وأيده بأنواع الأمدادِ فإنه لم يغفل الأسباب الأرضية

الواقعية، ومنها المشورة، والاستعانة بخبرات الصحابة الكرام ﷺ كلاً بما كان يتصف به من خبرات دنيوية، وفي ذلك دعوة للمسلمين إلى التأسي بالرسول ﷺ والأخذ بالأسباب مع شدة اليقين وقوة التوكل.ومن مميزات قيادة الرسول ﷺ (صالح، ٢٠٢٥م، صفحة ٣٤٨) لهذه المعركة إدامة زخمها المعنوي وتهيئة العدة اللازمة، إذ جعل المسلمين في صحوة تامة دائماً، يتناوبون في حراسة الخندق ومراقبة العدو ليلاً مع النهار (الواقدي، ١٩٨٩م، صفحة ٤٥٧) (السهيلي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٠٣) (المدخلي، ١٤٢٤هـ، صفحة ٢٢٨)، إن وصف هذه المعركة بأنها غير عادية كغيرها من المعارك جعل كتاب السيرة النبوية الشريفة يفصلون في ذكر أحداثها، من ذلك المناوشات بين طرفي القتال على جانب الخندق بالسهام والنبال، فضلاً عن المواقف الفردية الشجاعة التي اتصف بها بعض الصحابة ومنهم علي بن أبي طالب ﷺ في حادثة مبارزته لأشجع شجعان العرب آنذاك وقتله وهو عمرو بن عبد ودٍّ، تلك المبارزة التي انتهت بقتله، الذي أدى إلى بث الرعب في صفوف جيش المشركين لأنه كان فأل الهزيمة المتوقعة لهم (ابن هشام، ١٩٥٥م، صفحة ٢٢٥) (الطبري، ١٣٨٧هـ، صفحة ٥٧٤) (السهيلي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٧٣).**بشائر النصر ومآل اليهود في المدينة** ومما يستشف من كتب السيرة التي تحدثت عن غزوة الخندق والظروف التي صاحبتها يقف على عدة أمور كانت مصدر قلق للمسلمين في وجودهم منها: الحصار الخانق على المدينة الذي ضربه المشركون بتحالفهم للقضاء على الإسلام، ولا نجانب الصواب إذا قلنا إن كل من كان خارج المدينة هو عدو للإسلام وأهلهِ يتربص للمسلمين الدوائر، ومنها أيضاً أن ثمة خطراً لا يقل فراحة عن الخطر القادم من خارج المدينة، وهو وجود اليهود المتحالفين مع الكفار، فهذا الوجود مصدر قلق هدد وجود دولة الإسلام في المدينة، وعلى الرغم من ذلك كله فقد برزت حنكة الرسول ﷺ في إدارة الدولة الإسلامية بصورة عامة والمعركة القائمة آنذاك، ولم يترك وسيلة واقعية إلا استثمرها، ومن تلك الوسائل استطلاع ظروف جيش العدو وما كان يمر به من أحوال، وقد أوكل المهمة الحساسة إلى صحابي جليل هو حذيفة بن اليمان ﷺ (البغوي، ٢٠٠٠م، الصفحات ٢٠-٢٨) وقد استطاع التسلل إلى صفوف العدو والإتيان بأخبارهم التي مثلت بداية انفراج للأخطار المحدقة بالمسلمين في المدينة فأسباب السماء أدت دورها في دحر العدو مع أسباب الأرض التي قام بتوفيرها الرسول ﷺ والتخطيط لها، فالريح القوية التي أرسلها الله تعالى على المشركين اقتلعت خيامهم وأطفأت نيرانهم، وبثت في نفوسهم روح الهزيمة؛ ليصل بهم الحال إلى إصدار أبا سفيان أمره للجيش بالرحيل ولا سيما بعد انفراط عقد تحالفهم مع اليهود وسكان المدينة، وهنا تأتي عودة حذيفة بن اليمان ﷺ إلى الرسول ﷺ مخبراً عن انكسار جيش المشركين ليتحقق نصر الله الموعود للمسلمين (الطبري، ١٣٨٧هـ، الصفحات ٥٧٩-٥٨٠) (السهيلي، ٢٠٠٠، صفحة ٢٨٠)إن المتتبع للأحداث التاريخية التي ألمت بدولة الإسلام عصر الرسالة يجدُ أن الأخطار التي كانت تواجهها متشابكة، فمن الأخطار الداخلية المتمثلة في وجود اليهود بوصفهم جزءاً من سكان المدينة إلى وجود الأعداء المتربصين بالإسلام وأهله خارج المدينة من كفار قريش والقبائل المتحالفة معهم، ونستطيع القول: إن انسحاب جيش المشركين من موقعة الأحزاب مثَّلَ بداية لانحسار الأخطار الخارجية المتمثلة بالمشركين من قريش وأعوانها، ويبقى الخطر القريب وهو وجود اليهود في المدينة، علماً أنهم طيلة السنوات الأولى لبناء دولة الإسلام في عصر الرسالة لم يكفُّ عن تآمرهم على الإسلام والمسلمين فضلاً عن ما كانوا يقومون به من أمور تُكدر صفوَ المجتمع المسلم في المدينة، ولكن التزام الرسول ﷺ بالعهود والمواثيق كان بمثابة الحماية لوجودهم، بيد أن معركة الخندق كانت الفرصة المُؤاتية لاستئصال شأفهم من المدينة نهائياً وخصوصاً أنهم كشروا عن انيابهم وكشفوا عن غدرهم عندما تحالفوا مع المشركين ناقضين العهود بينهم وبين الرسول ﷺ.فبعد فراغ جيش المسلمين من معركة الخندق أمر الرسول ﷺ بالتوجه إلى بني قريضة ومحاصرتهم، وبعد حصار مدة من الزمن اقترحوا أن يحكم في أمرهم سعد بن معاذ ﷺ (ابن عبد البر، ١٩٩٢م، الصفحات ٦٠٢-٦٠٣) ، إذ اختاروه حكماً لقربه منهم قبل الإسلام، ولكن المفاجأة أمر بقتل مقاتليهم وسبي ذراريهم، وأن تقسم أموالهم وينفوا من المدينة إلى خارجها، وعند ذلك قال له الرسول ﷺ "لَقَدْ حَكَمْتَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللَّهِ وَحُكْمِ رَسُولِهِ" (ابن أبي شيبة، ١٩٨٩م، صفحة ٣٧٣)، وبعض المتشدقين من أنصاف المتعلمين يرى قسوة هذا الحكم، ولكن الحقيقة ان هذا الحكم والجزاء من جنس أعمالهم فلو افترضنا انهم غلبوا المسلمين في معركة الخندق مع جيش المشركين فكيف سيفعلون بالمسلمين وما المصير الذي ينتظر المسلمين في المدينة؟، ولذلك فقد جاء الحكم فيهم متجانساً مع أفعالهم الخبيثة وحجم خطرهم، وروى المحدثون أن الرسول ﷺ عندما تغلب عليهم ونفذ فيهم حكم الله قال " الْآنَ نَغْزُوهُمْ، وَلَا يَغْزُونَا" (أحمد بن حنبل، ٢٠٠١م، صفحة ٢٤١).وادعى قسم من الكتاب والدارسين ان ما حصل لبني قريضة يمثل تخلي عن مبادئ التسامح التي دعا إليها الإسلام، وأنه زهوٌ لانتصار المسلمين في معركة الخندق وردة فعل لهزيمة المشركين، مما دفعهم أي المسلمين إلى الحكم على اليهود بأحكام شديدة (فلهوزن، ١٩٦٨م، صفحة ١٥).إن الرد على هذا الافتراء سهلٌ، فبمجرد ذكر أفعال اليهود وهم تحت إدارة دولة الإسلام ورعايتها يبين أي نوع من الأقوام هم، بل إن الأمر الذي حصل لهم من تقتيل وسبي ونفي كان سيحصل للمسلمين لو انتصر المشركون في هذه المعركة.ولذا جاز لنا القول إن معركة الخندق مثلت بداية مبشرة بالانتصارات التي حققها المسلمون فيما بعد، وايذاناً بتمكين الإسلام في ربوع شبه الجزيرة العربية وبلاد العراق والشام، وأنها مثلت

تجسيداً واقعياً لبراعة رسول الله ﷺ في إدارة الدولة في أوقات الحرب، وبرغم الطابع الديني بتحقيق الانتصارات، فإن ذلك لم يمنع الإدارة النبوية في سياستها الإدارية والشرعية إلى الأخذ بالأسباب واستثمار العقول في بناء الدولة الإسلامية وتمكينها في الأرض.

الخاتمة

بعد الانتهاء من هذا البحث توصلنا إلى مجموعة نتائج يمكن إيجازها بما يأتي:

١- مثلت معركة الخندق نقطة بداية انتصارات إسلامية لاحقة تحققت فيما بعد، فعلى الرغم من شدة الظروف التي ألمت بالمسلمين في ذلك الوقت وهددت وجودهم فإن الله تعالى أراد منها أن تكون بشارة خير تبشر المسلمين بمستقبل زاهر ينتصر فيه الإسلام على غيره، ويرسخ دعائم دولته في جزيرة العرب والعراق والشام.

٢- على الرغم من كون الرسول ﷺ رسولاً ونبياً مؤيداً من الله سبحانه وتعالى ومستجاب العدوة وهو قائد المسلمين في تلك المعركة فإنه لم يركن إلى تأييد الله سبحانه وتعالى المطلق له، بل عمل منذ اللحظة الأولى إلى الأخذ بالأسباب وإعمال العقل والتفكير في أخذ التدابير الناجحة التي تضمن صد الخطر المحدق عن الإسلام وأهله في المدينة.

٣- تجسيد مبدأ المشورة في الحكم الإسلامي، فبمجرد علم الرسول ﷺ بنية المشركين الهجوم على المدينة وتكوين جيش عرمرم لتلك المهمة جمع أصحابه من المهاجرين والأنصار للتشاور في اعتماد خطة تضمن سلامة المدينة وأهلها من الاخطار القادمة.

٤- في هذه المعركة تجلى التمازج بين أسباب السماء ومعونتها وتخطيط البشر المستند إلى مبدأ التشاور، وهذا يؤكد لنا أن على المسلمين السعي أولاً والتحرك، ومن ثم دعوة الله وسؤاله النجاح والتوفيق، وهو يجسد مفهوم التوكل بأحلى صور مفهومه ومعانيه، فلا توكل بدون أخذ الأسباب أولاً.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: القرآن الكريم

إبراهيم محمد المدخلي. (١٤٢٤هـ). غزوة الخندق. المدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

ابراهيم محمد خلف. (٢٠٢٤م). الفتاوي الدينية وأثرها على الحياة السياسية لسلاطين دولة المماليك. مجلة كركوك للدراسات الإنسانية، ١٩.

أبو عمر محمد ابن عبد البر. (١٩٩٢م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب (المجلد ٢). تحقيق: (علي محمد البجاوي) بيروت: دار جيل.

أحمد حسين البيهقي. (١٩٨٨م). دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة (المجلد ٣). تحقيق: (عبد المعطي قلعجي) دار الكتب العلمية.

أحمد علي ابن حجر العسقلاني. (١٤١٥هـ). الإصابة في تمييز الصحابة (المجلد ٢). تحقيق: (عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض)

أحمد محمد أحمد بن حنبل. (٢٠٠١م). مسند الأمام أحمد (المجلد ٣٠). تحقيق: (شعيب الأنؤوط وآخرون) د. م: مؤسسة الرسالة.

جمال الدين عبدالرحمن ابن الجوزي. (١٩٩٢م). المنتظم في تاريخ الملوك والامم (الإصدار ط٣). تحقيق: (محمد عبدالقادر عطا، و مصطفى عبد القادر)

سليمان أحمد الطبراني. (د.ت). المعجم الكبير (الاصدار ط٢، المجلد ٦). تحقيق: (حمدي عبد المجيد) القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

عبد الملك هشام ابن هشام. (١٩٥٥م). السيرة النبوية (الإصدار ط٢، المجلد ٢). تحقيق: (مصطفى السقا وآخرون) مصر:

عبدالرحمن عبدالله السهيلي. (٢٠٠٠). الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام (المجلد ٦). تحقيق: (عمر عبد السلام)

عبدالله الكوفي ابن أبي شيبة. (١٩٨٩م). الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار (المجلد ٧). تحقيق: (كمال يوسف الحوت) بيروت: دار التاج.

عبدالله محمد البغوي. (٢٠٠٠م). معجم الصحابة (المجلد ٢). تحقيق: (محمد الأمين محمد الجكني) الكويت: مكتبة دار البيان.

عبيد عبد الله البكري. (١٤٠٣هـ). معجم مااستعجم (الإصدار ط٣، المجلد ١). بيروت: عالم الكتب.

علي أحمد ابن حزم. (١٩٠٠م). جوامع السيرة وخمس رسائل أخرى لابن حزم. تحقيق: (احسان عباس) مصر: دار المعارف.

فلهوزن يوليوس. (١٩٦٨م). تاريخ الدولة العربية منذ ظهور الإسلام إلى نهاية الدولة الأموية (الأصدار ط٢). ترجمة: (محمد عبدالهادي،

محمد جرير الطبري. (١٣٨٧هـ). تاريخ الرسل والملوك (الإصدار ط٢، المجلد ٢). بيروت: دار التراث.

محمد سعد ابن سعد. (١٩٦٨م). الطبقات الكبرى (المجلد ٤). تحقيق: (احسان عباس) بيروت: دار صادر.

محمد سعد ابن سعد. (١٩٦٨م). الطبقات الكبرى (المجلد ٢). تحقيق: (احسان عباس،) بيروت: دار صادر.

محمد عمر الواقدي. (١٩٨٩م). المغازي (الإصدار ط٣، المجلد ٢). تحقيق: (جونس مارسدن) بيروت: دار الأعلمي.

محمد نصيف حردان. (٢٠١٦م). رحلة الحج عند الرحالة المغاربة التجيبي السبتي أنموذجاً. مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد ٢٣

محمد نصيف حردان. (٢٠٢٤م). الشعائر الرمضانية في المغرب الإسلامي. مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، المجلد ١٩.

مخلف عبدالله صالح. (٢٠٢٥م). الجوانب الدينية للسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون (٦٩٣-٧٤١هـ/١٢٩٣-١٣٤٠). ٧١.

مقاتل بن سليمان بشير مقاتل بن سليمان. (١٤٢٢هـ). تفسير مقاتل بن سليمان (المجلد ٣). تحقيق: (عبدالله محمود شحاته) بيروت: دار إحياء التراث.